657806 ـ كيف ينصح أخته التي لا تلبس الحجاب؟ وهل يأثم بسبب تبرجها؟

السؤال

لي أخت بالغة، ولكن ليست متحجبة، تخرج كاشفة وجهها وشعرها، وأحيانا سواعدها، وترش العطور، ومتأثرة بالغرب، وبدينهم، وبمنهاجهم، وبنمط حياتهم كثيرا، نصحتها كثيرا بيني وبينها وأمام الوالد أيضا، والشخص المسؤول عن الأحوال كلها هو الوالد، فلا أحد بعده يدير شؤون المنزل من صغيرة وكبيرة، فنصحتها كثيرا بأسلوب طيب، وبأسلوب حسن، وتعرضت لكثير من الاعتداءات النفسية والجسدية من قِبل والدي، لأنه لا يريدها أن تتحجب، يريدها أن تبقى متبرجة، وأنا رجل، وأعرف نظرة الرجال، وقهر الرجال الذي في قلبي بشأن هذا الموضوع لا يحتمل، فوجهوني جزاكم الله خيرا، ماذا افعل؟!، وهل أنا آثم؛ لأنها تخرج متبرجة؟! وهل أجالسها وأكلمها؟ وكيف توجهوني لكي أحبب لها الحجاب؟! وكيف أمنع عنها رذائل الغرب، وأقربها من خالقها جل وعلا؟!

ملخص الإجابة

لا يأثم الأخ لمجرد تبرج أخته البالغة إذا أدى ما عليه من النصح بحسب استطاعته. وينبغي أن يدعوها إلى الحجاب بالحكمة والرفق، ويعتني بتقوية إيمانها وتصحيح أفكارها، ويحافظ على صلتها، ولا يلجأ إلى هجرها ما لم تتحقق فيه مصلحة شرعية، ويتعامل مع والده بحكمة، دون أن يحمل نفسه مسؤولية هدايتها أو يسمح للغضب بإفساد علاقته بأسرته.

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أخي الكريم، نسأل الله تعالى أن يصلح قلبك، ويشرح صدرك، ويهدي أختك، ويصلح حال أسرتك، وأن يجعل حرصك على دين الله سببًا للخير والإصلاح.

من الواضح من كلامك أنك تشعر بألم شديد لما تراه من عدم التزام أختك بالحجاب، وأن هذا الألم يزداد بسبب موقف والدك الذي ذكرت أنه لا يشجعها على الالتزام، بل تتعرض منه لاعتداءات نفسية وجسدية، وأقدّر ما تشعر به من العجز حين تجد أن نصحك المتكرر لم يحقق النتيجة التي ترجوها.

لكن نريد أن ندعوك إلى النظر في المسألة من زاوية أوسع؛ فالمشكلة لا تتعلق بالحجاب وحده، وإنما تتصل كذلك بالتربية الإيمانية، ومكانة أوامر الله في النفس، وأثر البيئة الأسرية في تكوين القناعات، والطريقة التي يمكن أن تسهم بها في إصلاح

أختك دون أن تستنزف نفسك، أو تزيد الخلاف داخل الأسرة.

لذا سوف نضع بين يديك جملة من الإرشادات، التي نسأل الله أن تعينك في تجاوز ما تعاني منه:

أولًا: اجعل غايتك أن تعين أختك على الاستقامة، لا أن تقتصر على مطالبتها بالحجاب، فالحجاب حكم شرعي دلّ عليه كتاب الله تعالى، ومن ذلك قوله سبحانه: وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ (النور: 31)، لكن معرفتنا بالحكم الشرعي وحدها لا تكفي دائمًا لإحداث التغيير في سلوك الإنسان؛ إذ يحتاج الالتزام إلى إيمان يعظّم أمر الله، ومحبة تدفع إلى طلب رضاه، وتسليم يعين على تقديم أمره على هوى النفس، ومجاهدة عند مواجهة الرغبات والضغوط المحيطة.

ومن هنا، فإننا ننصحك ألا تجعل معظم حديثك مع أختك منصبًّا على لباسها، بل اجعل من أولوياتك: إعانتها على معرفة الله تعالى، وتعظيمه، ومحبته، وفهم معنى العبودية له، واستشعار حاجتها إليه في حياتها كلها، قال الله تعالى: وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ (البقرة: 165)، فكلما تعرّف الإنسان إلى ربه، وعرف أسماءه وصفاته، وتأمل نعمه وإحسانه وحكمته، وازداد إيمانًا بأنه سبحانه أعلم بما يصلحه، وأرحم به من نفسه، كان ذلك أدعى إلى تعظيم أوامره والرغبة في طاعته.

وتأمل ذلك الموقف البديع الطريف، بين أعرابي، من أصحاب النبي صلى الله علي وسلم ، يرى النبي لأول مرة، فيقول له: (أنتَ رسولُ الله؟)!

فيقول النبي صلى الله عليه وسلم، (أنا رسولُ الله الذي إذا أصابكَ ضُرٌّ، فدعوته: كَشَفَهُ عنكَ. وإن أصابكَ عامُ سنةٍ، فدعوتَهُ: أَنبَتَهَا لك. وإذا كُنْتَ بأرضٍ قَفْرٍ، أو فلاةٍ، فضلَّتْ راحِلتُك، فدعوتَهُ: ردَّها عليك). [رواه أبو داود (4048) وصححه الألباني].

فانظر كيف أسس النبي صلى الله عليه وسلم معاني الإيمان في قلب الأعرابي، ورسخ في قلبه حاجة ذلك الأعرابي العامة، التامة، في ضروريات حياته كلها ومقوماتها: إلى الرب الجليل، ودله عليه: كيف يصل إلى حاجته منه: بالدعاء؟!!

ثانيًا: افهم موقف أختك من الدين نفسه، قبل أن تحدد طريقة نصحها، فقد ذكرت أن أختك متأثرة بالغرب، وبنمط حياته وأفكاره، لكن من المهم أن تعرف طبيعة هذا التأثر، فهل هي مقتنعة بوجوب الحجاب، لكنها تجد صعوبة في الالتزام به؟ أم إنها عندها خللًا في حكمه من الأساس؟ أو ترى أنه لا ينبغي أن يكون ملزمًا لها؟ وهل ما زالت ترى أن أوامر الله مرجع، ينبغي التسليم له، أم إن تأثرها بالغرب وصل إلى هذه القاعدة الصلبة، وأصبح لديها تصورات عن الحرية والاستقلال ومكانة الدين تحتاج إلى مراجعة؟

وهذه الأسئلة من الأهمية بمكان في تحديد نقطة البداية مع أختك، وطريق التواصل والإقناع معها؛ لأن معالجة من يقر بالحكم الشرعي لكنه يضعف عن العمل به، تختلف عن معالجة من يعترض على الحكم أو ينازع في مرجعيته.

استمع إليها لتفهم، لا لتستعد للرد على كل كلمة تقولها، فإذا ظهر لك أن لديها شبهة، فناقشها بالدليل، وإذا ظهر أن المشكلة في

غلبة الرغبات أو التأثر بالمحيط، فساعدها على إدراك أثر هذه العوامل في اختياراتها، وذكّرها بأن رغبة الإنسان في شيء لا تجعله بالضرورة صوابًا، وأن المؤمن يجاهد نفسه ليقدّم ما يرضي الله على ما تهواه نفسه، ولا تحكم على ما في قلبها من خلال مظهرها وحده، بل تعرّف إلى حقيقة موقفها، ثم ابنِ نصحك على ما يظهر لك من حاجتها.

ثالثًا: إذا أردت أن تؤثر في أختك تأثيرًا أعمق، فليكن حديثك عن الله أوسع من الحديث عن المخالفات التي تراها في سلوكها، فحدّثها عن رحمة الله وفضله، وعن نعمه التي لا تحصى، وعن حكمته وعلمه، وعن معنى أن يكون الله هو الغاية التي يتوجه إليها الإنسان بعبادته وعمله، وأن رضاه أعظم من رضا الناس، وأن العبودية له ليست انتقاصًا من الإنسان، بل هي الغاية التي خلقه الله من أجلها.

وفي الوقت نفسه، وضّح لها أن محبة الله ليست مجرد شعور في القلب، وإنما لها مقتضيات تظهر في تعظيم أمره والرغبة في طاعته، وأن المسلم إذا خالف هواهُ أمرَ الله، فقد يحتاج إلى مجاهدة وصبر واستعانة بالله، لا إلى تبرير المخالفة، أو جعل الرغبة الشخصية مرجعًا أعلى من الوحي، قال الله تعالى: وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ (الأحزاب: 36).

واجعل حديثك معها قائمًا على الصدق والرحمة، فلا تكتفِ بتخويفها أو توبيخها، ولا تُغفل جانب الرجاء في رحمة الله، بل أعنها على أن تكون علاقتها بالله قائمة على المحبة والتعظيم والخوف والرجاء، وأن تفهم أن الطاعة من مقتضيات هذه العلاقة.

وقد روى البخاري (6308) ، ومسلم (2747) واللفظ له، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيِسَ مِنْهَا فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ).

رابعًا: لا تجعل تأثر أختك بالغرب سببًا للتعميم، بل ناقش الأفكار التي تتبناها، فمن المفيد أن تعرف ما الذي تأثرت به أختك تحديدًا، فإن كانت تتبنى أفكارًا تجعل الحرية مقدمة على كل مرجعية، أو ترى أن الالتزام الديني قيد ينبغي التحرر منه، أو تتبنى تصورات تخالف أحكام الإسلام في لباس المرأة وعلاقتها بربها= فناقش هذه الأفكار من أصولها، وبيّن لها أن الإنسان ليس مجرد مجموعة من الرغبات التي ينبغي إشباعها، وأن الحرية لا تعني أن تكون رغباته هي المعيار الوحيد للصواب، وأن المسلم يستمد تصوره عن الحياة والغاية منها من الوحي، ويزن الأفكار بميزان الحق، لا بمجرد شيوعها أو جاذبيتها.

وإذا كانت ترى في بعض جوانب الحياة الغربية أمورًا تعجبها، فاستمع إليها، ثم ميّز معها بين ما يمكن الانتفاع به، مما لا يتعارض مع دينها، وبين الأفكار التي تخالف المرجعية الإسلامية.

خامسًا: هل تجالس أختك وتكلمها، أم تهجرها؟

الأصل أن تحافظ على صلتك بأختك، وتجالسها، وتحادثها، وتحسن إليها، ولا تجعل اختلافكما في مسألة الحجاب سببًا لقطع الأخوة، أو تحويل البيت إلى ساحة خصومة.

فصلة الرحم والإحسان إلى الأقارب: لا تعني الموافقة على جميع أفعالهم، كما أن إنكار الخطأ لا يقتضي قطع العلاقة دائمًا.

أما الهجر، فقد يكون نافعًا في بعض الأحوال إذا غلب على الظن أنه يحقق مصلحة شرعية، كأن يدفع إلى مراجعة النفس وترك الخطأ، لكنه قد يأتي بنتيجة عكسية إذا زاد النفور وأغلق باب النصيحة. لذلك لا تجعل الهجر وسيلة تلقائية للضغط على أختك، ولا تتخذه لمجرد أنك غاضب من سلوكها.

وفي حالتك، ما دمت ترى أن أختك متأثرة بأفكار تحتاج إلى مناقشة، وأنك تريد إعانتها على بناء علاقتها بالله، فإن المحافظة على التواصل والثقة: تتيح لك فرصة أفضل للحوار والنصح، ما لم توجد أسباب معتبرة أخرى تستدعي وضع حدود في العلاقة.

ولمزيد من الفائدة في هذه النقطة يمكن أن تراجع فتوى رقم: (93775)، والمعنونة بـ " هل يهجر أخته أو يضربها لعدم ارتدائها الحجاب؟!".

سادسًا: ما مسؤوليتك الشرعية تجاه أختك؟ وهل تأثم بسبب خروجها دون حجاب؟

أخي الكريم، أنت مسؤول عن أداء ما يلزمك من النصح بحسب استطاعتك، وعن استعمال الحكمة والرفق، واجتناب الظلم والإيذاء، لكنك لا تملك قلب أختك ولا تستطيع أن تضمن استجابتها، والأصل أن الإنسان لا يحمل ذنب غيره، قال الله تعالى: وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ (الأنعام: 46)، فلا يلزمك الإثم لمجرد أن أختك البالغة لا تلتزم بالحجاب، ما دمت قد أديت ما يلزمك من النصح بحسب استطاعتك، ولم يقع منك تقصير آخر معتبر شرعًا. لذلك، لا تجعل خوفك من الإثم يدفعك إلى الاعتقاد بأن عليك إجبارها على الالتزام، أو أن استمرارها على هذا السلوك دليل حتمي على تقصيرك. وفي الوقت نفسه، لا تتخذ عدم قدرتك على تغييرها ذريعة للتخلي عن النصح.

إنما المطلوب أن تجعل حرصك على أصل دينها أعمق من مجرد المطالبة بالسلوك الظاهر، فتسعى إلى إعانتها على معرفة الله ومحبته وتعظيمه والتسليم لأمره، ومراجعة الأفكار التي تحول بينها وبين الالتزام، وأن تكون لها أخًا صالحًا ترى في سلوكه أثر الإيمان، لا مجرد شخص يذكّرها بما لا تفعله، أو يهجرها عليه.

واستمر في الدعاء لها، واختر أوقات النصح المناسبة، واصبر على ما يحتاج إلى صبر، واستعن بمن يستطيع الإصلاح، ولا تجعل استمرارها على ما تراه خطأ مدخلًا لإفساد علاقتك بها، أو يدفعك إلى تجاوز حدودك الشرعية معها.

واعلم أن واجبك هو بذل الأسباب المشروعة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قدر طاقتك. وأما هداية القلوب فإلى الله تعالى، قال سبحانه: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ (القصص: 56).

سابعًا: كيف تتعامل مع موقف والدك؟

إن ما ذكرته عن موقف والدك: يحتاج إلى عناية خاصة؛ لأن الأب له أثر كبير في تربية أبنائه، وقدوة الوالد وموقفه من الدين يمكن أن يؤثرا في نظرة الأبناء إلى الالتزام.

فإذا كان والدك يشجع أختك على ترك الحجاب، وبدا لك أن موقفه هذا حائل بينك وبينها، أن تؤثر فيها، أو يظهر عليها أثر نصيحتك، وأمرك لها بالمعروف، ونهيها عن المنكر فحاول، إن كان الحوار معه ممكنًا وآمنًا، أن تناقشه بهدوء في أهمية تعظيم أوامر الله، ومسؤوليته التربوية عن أسرته، وأن تبيّن له أن التوجيه الديني ينبغي أن يقوم على القدوة والحكمة، لا على دفع الأبناء إلى ما يخالف ما يعتقدونه من واجب شرعي.

تاسعًا: كيف تتعامل مع القهر الذي تشعر به؟

أخي الكريم، نفهم أن ما تشعر به ليس مجرد انزعاج عابر، بل قد يجتمع فيه الحزن على أختك، والخوف عليها، والغضب من موقف والدك، والشعور بالعجز بعد تكرار المحاولات دون نتيجة.

لكن من المهم أن تراجع الأفكار التي تصاحب هذا الألم؛ لأن طريقة تفسيرك للموقف تؤثر في شدة انفعالك، وفي الطريقة التي تتعامل بها مع أختك، ويمكننا مساعدتك على فهم ذلك وفق النموذج التالي:

الحدث: ترى أختك تخرج دون حجاب، وتجد أن موقف والدك لا يساعدها على الالتزام.

المعتقدات والتفسيرات: قد تقول لنفسك: لا بد أن أغيّر هذا الواقع، أو لن أرتاح ما دامت أختي مستمرة على هذا الحال، أو إذا لم أستطع إصلاحها فأنا مقصر، فهذه أمثلة محتملة، والمهم أن تتعرف إلى الأفكار التي تدور في نفسك فعلًا.

النتائج الانفعالية والسلوكية: قد ينتج عن ذلك قهر شديد وغضب وقلق وإحباط، ثم تكرار النصيحة أو الدخول في نقاشات متوترة، ثم يزداد شعورك بالعجز عندما لا تتغير النتيجة.

لذا ننصحك بمراجعة المعتقدات لتصبح: من حقك أن تحزن على تقصير تراه في دين أختك، ومن واجبك أن تنصحها، أو تعمل على تعديل سلوكها، ونهيها عن هذه المنكرات؛ وذلك كله بحسب استطاعتك.

لكن هل يعني ذلك أنك مسؤول عن ضمان استجابتها؟ وهل يعني عدم تغيرها الآن، أنك فشلت في أداء واجبك؟ وهل يؤدي استمرار القهر إلى زيادة قدرتك على إصلاحها، أم قد يجعلك أقل صبرًا وحكمة في التعامل معها؟

وبعد هذا النقاش مع نفسك: احرص على بناء استجابة أكثر اتزانًا؛ فحاول أن تقول لنفسك: أنا حريص على هداية أختي، وسأبذل ما أستطيع من أسباب النصح والإصلاح، وسأتعلم كيف أخاطبها وأعينها على فهم دينها، لكنني لا أملك قلبها ولا أستطيع أن أضمن استجابتها، ولن أسمح لقَهري بأن يدفعني إلى ظلمها أو إيذائها، أو إفساد علاقتي بها.

هذا لا يعني التهوين من المعصية، وإنما يعني أن تؤدي واجبك دون أن تجعل النتيجة التي لا تملكها مصدرًا لقهر يستنزفك.

نسأل الله أن يهدي أختك، ويشرح صدرها للإيمان والطاعة، ويصلح حال والدك وأسرتك، ويحفظكم من الظلم والأذى، ويرزقك الحكمة والسكينة، ويجعل حرصك على أهلك سببًا للهداية والإصلاح.